ذوي الاحتياجـــات الخاصـــة فـــي دولـــة المماليـك البحريـــة "الأمير علاء الدين أيدغدي الأعمى في القدس والخليل (٦٦١-٦٩٣هـ/١٢٦٣-١٢٩٤م) أنموذجًا "

Prince Aladdin Aydegdi, ``People with special needs in the state of maritime monarchies the blind in Jerusalem and Hebron (661-693 A.H./ 1263-1294 A.D.) as an example"

الباحثون
أ.د. إبراهيم محمد علي مرجونة
كلية الاداب ـ جامعة دمنهور ـ جمهورية مصر
Researchers
Prof. Ibrahim Muhammad Ali Marjouna (PH. D)
Faculty of Arts, Damanhour University, Egypt

أ.م.د. مروان سالم نوري
كلية التربية الاساسية ـ جامعة ديالى ـ جمهورية العراق
Asst. Prof Marwan Salem Nuri (PH.D)
College of Basic Education, University of Diyala, Republic of Iraq

م.د. وئام عاصم إسماعيل
كلية التربية الاساسية ـ جامعة ديالى ـ جمهورية العراق
Asst. Prof Dr. Weam Assem Ismail
College of Basic Education, University of Diyala, Republic of Iraq

الملخص

كانت دولة المماليك بمصر والشام (٦٤٨-٩٢٣ه/١٢٥٠-١٥١٧م) بمثابة العصر الذهبي للعالم الإسلامي في معظم فتراتها التاريخية ، فبعد أن أفاق المماليك من الصعوبات والمشكلات التي أحاطت بدولتهم منذ البداية ، اهتم السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٩-٦٧٦ه/١٢٦٠-١٢٧٧م) المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية بوظيفة ناظر الحرمين الشريفين ، ويفسر المقريزي دور هذه الوظيفة بأن صاحبها يتولى النظر في أوقات الحرمين القدسي والإبراهيمي.

أولت الدولة المملوكية اهتمامًا بالغًا بالشام بصفة عامة ، والقدس والخليل بصفة خاصة، منذ اللحظات الأولى لظهور هذه الدولة على مسرح الأحداث السياسية ، فبعد النصر في معركة عين جالوت (٦٥٨ه/١٢٦٠م) تقدم قطز إلى دمشق، فأخذها وجعلها نيابة ، والنائب القائم على أمور الإقليم وهو ممثل السلطان فيه ، والنيابة تضم عددًا من الأقضية ، على كل منها والٍ وإلى نيابة دمشق ضم قطز الأراضي كلها التي استولى عليها في بلاد الشام بما فيها القدس.

وكان سلاطين العصر المملوكي يشيدون المشافي الخاصة لعلاج المعوقين والمرضى ، ويمنحونهم المال اللازم لمواجهة نفقات الحياة ، وكان جزء مقدّر من ريع الأوقاف الإسلامية يُصرف على اللقطاء واليتامى والمقعدين والعجزة والعميان والمجذومين والمسجونين ليعيشوا في الدُّور المخصّصة لهم ويجدوا فيها السّكن والغذاء واللباس والتعليم والمعالجة.

إن من أعظم صور العناية بذوي الاحتياجات الخاصة وضعهم في مكانتهم اللائقة ، وبالأخص إن كانوا من ذوي الكفايات والمواهب والإبداعات ، وإتاحة الفرصة لهم ليقوموا بدورهم في نشاطات الحياة والمشاركة في فعالياتها اليومية بكل ميادينها ، وأن يندمجوا في مجتمعاتهم كبقية الأفراد والمواطنين ، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به الظاهر بيبرس فقد أولى الظاهر بيبرس اهتمامه الشديد بنظارة الحرمين الشريفين (القدس والخليل) وأمر بتعيين الأمير علاء الدين أيدغدي الأعمى ناظرًا لهما واستمر فيها ما بين (٦٦١-٦٩٣ه/١٢٦٣-١٢٩٤م).

Abstract

The state of the Mamluks in Egypt and the Levant (648-923 AH / 1250-1517 AD) was considered the golden age of the Islamic world in most of its historical periods. The true founder of the Maritime Mamluk state, with the position of overseer of the Two Holy Mosques, and Al-Maqrizi explains the role of this post by saying that its owner undertakes the consideration of the times of the Holy Mosques and the Abrahamic.

The Mamluk state paid great attention to the Levant in general, and Jerusalem and Hebron in particular, from the first moments of the emergence of this state on the stage of political events. He is the representative of the Sultan in it, and the prosecution includes a number of districts, each of which has a governor, and to the Damascus Prosecution office, Qutuz annexed all the lands he seized in the Levant, including Jerusalem.

The sultans of the Mamluk era built private hospitals to treat the disabled and the sick, and gave them the money needed to meet the expenses of life, and an estimated part of the proceeds of Islamic endowments was spent on foundlings, orphans, the disabled, the infirm, the blind, the leper, and the imprisoned to live in the homes allocated for them and find housing, food, clothing, education and treatment.

One of the greatest forms of caring for people with special needs is placing them in their appropriate position, especially if they are of competent, talented and creative, and providing them with the opportunity to play their role in life activities and participate in its daily activities in all its fields, and to integrate into their societies like other individuals and citizens. Zahir Baybars did this, as al-Zahir Baybars paid close attention to the presidency of the Two Holy Mosques (Jerusalem and Hebron), and he ordered the appointment of Prince Ala al-Din Aydaghdi, the blind, as their superintendent, and he continued there between (661-693 AH / 1263-1294AD).

المقدمـــة

تختلف الرّؤية والمفهوم لذوي الاحتياجات الخاصّة عند الأطباء عنه عند التربويّين أو حتّى عند مُقدِّمي الخدمة المُجتمعيّة، وكذا المؤرخين حيث ينظر كلّ منهم للموضوع من ناحيةٍ تخصصيّة بحسب العلم المَعنيّ به، لكن هناك اتّفاق عامّ على أنّ هذا المُصطَلح استخدم كتسميةٍ لمجموعة الأشخاص الذين لا يستطيعون مُمارسة حياتهم بشكل طبيعيّ دون تقديم رعايةٍ خاصّة لهم نتيجةً وجود قصور فكريّ، أو عصبيّ، أو حسيّ، أو ماديّ، أو مزيج من هذه الحالات كلّها بشكلٍ دائم، بالإضافة إلى حاجتهم لخدمة تفوّق الخدمة المُقدّمة لأقرانهم من نفس العمر، ويُفضّل استخدام هذا المُصطلح كبديل لمُصطلح المُعاقين.

مفهوم الإعاقة يوجد بين الباحثين اتجاهان رئيسان لتحديد المقصود بالإعاقة

الاتجاه الأول: يقصر لفظة "المعاق أو المعوق" على الشخص الذي يصاب بعجز معين في أحد أعضاء جسمه، مما يجعله غير قادر على التكيف مع المجتمع على نحو طبيعي؛ أي: إن الإعاقة في هذه الحالة تعني عدم القدرة على تلبية الفرد لمتطلبات أداء دوره الطبيعي في الحياة، المرتبط بعمره، وجنسه، وخصائصه الاجتماعية والثقافية، وذلك نتيجة الإصابة أو العجز في أداء الوظائف الفسيولوجية أو السيكولوجية، ويدخل في نطاق هذا المعنى أنواع الإعاقة المختلفة؛ كالإعاقة العقلية، والسمعية، والبصرية، والجسمية، وصعوبات التعلم.

والاتجاه الثاني: يرى أن لفظة "المعاق" لا تقتصر على مجرد إصابة الفرد بعجز معين في أحد أعضاء جسمه، بل تمتد لتشمل - فضلاً عن ذلك - "أيَّة حالة تعوق الفرد عن أداء دوره الطبيعي في المجتمع، حتى ولو لم يكن ذلك نتيجة إصابته بعجز جسماني في أحد أعضاء جسمه"، ومِن ثَم فالمعاق هو "ذلك الشخص الذي انخفضت بدرجة كبيرة احتمالات ضمان عمل مناسب له، والاحتفاظ به، والترقي فيه؛ لقصور بدني أو عقلي معترف به قانونًا" ، فقد يصاب الشخص بحالة انطواء وعزلة اجتماعية تجعله غير قادر على التكيف مع أفراد المجتمع المحيط به رغم سلامة أعضاء جسمه، (ويدخل في هذا المفهوم للإعاقة ما يسمى باضطرابات السلوك، وتصارع الثقافات لدى الشخص)، والواقع أن الإعاقة ليست نتيجة لسبب واحد، بل هي محصلة مجموعة من الأسباب والعوامل الصحية، الوراثية، والثقافية، والاجتماعية، وهي أسباب تختلف من مجتمع لآخر، ومن وقت لآخر.

أولاً :-دولة المماليك البحرية وذوي الاحتياجات الخاصة:

كانت دولة المماليك بمصر والشام (٦٤٨-٩٢٣ه/١٢٥٠-١٥١٧م) بمثابة العصر الذهبي للعالم الإسلامي في معظم فتراتها التاريخية، فبعد أن أفاق المماليك من الصعوبات والمشكلات التي أحاطت بدولتهم منذ البداية، اهتم الظاهر بيبرس

(٦٥٩-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية بوظيفة ناظر الحرمين الشريفين[i]. ويفسر المقريزي دور هذه الوظيفة بأن صاحبها يتولى النظر في أوقات الحرمين القدسي والإبراهيمي[ii].

أولت الدولة المملوكية اهتمامًا بالغًا بالشام بصفة عامة، والقدس والخليل بصفة خاصة، منذ اللحظات الأولى لظهور هذه الدولة على مسرح الأحداث السياسية، فبعد النصر في معركة عين جالوت (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) تقدم قطز إلى دمشق، فأخذها وجعلها نيابة، والنائب- القائم على أمور الإقليم- وهو ممثل السلطان فيه. والنيابة تضم عددًا من الأقضية، على كل منها والٍ. وإلى نيابة دمشق ضم قطز الأراضي كلها التي استولى عليها في بلاد الشام بما فيها القدس[iii].

وبعد أن فتح بيبرس صفد عام (٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، جعلها نيابة قائمة بذاتها، وقد أوليت صفد أهمية قصوى، نظرًا لموقعها الاستراتيجي، ولأنها ظلت لفترة طويلة مرتكز العمل المملوكي في مواجهة ما تبقى للفرنجة من مواقع على الساحل وخصوصًا عكا. ولذلك جدد ترميم قلعة صفد الكبيرة وتوسيعها. وفي أيام الناصر محمد بن قلاوون، الذي اعتلى الحكم ثلاث مرات متفرقة (الأولى ٦٩٣-٦٩٤هـ/١٢٩٣-١٢٩٤م)، و(الثانية ٦٩٨-٧٠٨هـ/١٢٩٨-١٣٠٨م)، و(الثالثة ٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م)، أصبحت غزة نيابة مستقلة عام ٧١١هـ/١٣١١م. ثم جعل السلطان الظاهر برقوق القدس نيابة ثالثة في فلسطين ٧٩٦هـ/١٣٩٣م. وبينما انتقل مركز الثقل السياسي والعسكري والإداري إلى صفد، ظلت القدس المركز الديني والثقافي[iv].

كانت نيابة صفد تضم عددًا من الولايات منها: شقيف أرنون وتبنين وصور وعكا وعتليت والناصرة وطبرية والشاغور (الجليل الأسفل) وجنين، وأحيانًا بيسان، أما نيابة غزة، فقد كانت تضم عمومًا: ولاية الداروم (دير البلج) وولاية البر (النقب) وبيت جبرين والرملة واللد والقابون. ونيابة القدس تتبعها ولاينا الخليل ونابلس، وأحيانًا الرملة. وفي قمة هرم النيابة نائب السلطنة، وهو ممثل السلطان، ويكون في العادة بمرتبة "مقدم ألف"، ويليه ولكن بصورة منفصلة عنه نائب القلعة، ومهمته شئون القلعة عدة وعتادًا ورجالاً وإدارة، ويعينه السلطان. وعلى كل مدينة وال، هو بالأساس صاحب الشرطة فيها، ومسؤوليته الحفاظ على الأمن، وفي كل نيابة ناظر لبيت المال، وعدد من الموظفين الكبار لإدارة الشئون المدنية- حجاب وكتاب وغيرهم- وفي الشئون الدينية- نظارة الحرم والخطابة والوقف والقضاء ومشيخة المدارس وغيرها[v].

وكان سلاطين العصر المملوكي يشيدون المشافي الخاصة لعلاج المعوقين والمرضى ، ويمنحونهم المال اللازم لمواجهة نفقات الحياة ، وكان جزء مقدّر من ريع الأوقاف الإسلامية يُصرف على اللقطاء واليتامى والمقعدين والعجزة والعميان والمجذومين والمسجونين ليعيشوا في الدُّور المخصّصة لهم ويجدوا فيها السّكن والغذاء واللباس والتعليم والمعالجة.
إن من أعظم صور العناية بذوي الاحتياجات الخاصة وضعهم في مكانتهم اللائقة - وبالأخص إن كانوا من ذوي الكفايات والمواهب والإبداعات - وإتاحة الفرصة لهم ليقوموا بدورهم في نشاطات الحياة والمشاركة في فعالياتها اليومية بكل ميادينها ، وأن يندمجوا في مجتمعاتهم كبقية الأفراد والمواطنين ، ومن الأمثلة على ذلك:- ما قام به الظاهر بيبرس فقد أولى الظاهر بيبرس اهتمامه الشديد بنظارة الحرمين الشريفين (القدس والخليل) وأمر بتعيين الأمير علاء الدين أيدغدي الأعمى ناظرًا لهما واستمر فيها ما بين (٦٦١-٦٩٣هـ/١٢٦٣-١٢٩٤م) [vi].

ثانياً: اختصاصات ناظر الحرمين الشريفين والوضع قبل تولي الأمير علاء الدين نظارة الحرمين (القدس والخليل):

وبداية، يجدر بنا التعرف على معنى الوقف لغةً واصطلاحًا؛ لأن من مهام ناظر الحرمين الشريفين الإشراف على الأوقاف الخاصة بهما، واستثمار هذه الأوقاف لصالحهما.

فمعنى الوقف لغةً: وقف وقوفًا: قام من جلوس وسكن بعد المشي، ووقف الدار ونحوها: حبسها في سبيل الله، فالوقف يعني الحبس عن التصرف مطلقًا، والوقف: حبس العين على ملك الواقف أو على ملك الله تعالى، ويجوز جمع الوقف على أوقاف ووقوف ويعبر عنه بالحبس تارة وبالتسبيل تارة أخرى[vii].

أما عن الوقف اصطلاحًا: فقد اختلف الفقهاء الأربعة أبو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، رضي الله عنهم جميعًا. في تعريف الوقف بحسب اتجاهات كل منهم في القول بلزوم الوقف أو عدم لزومه واستمراريته من عدمها، واشتراط القربة فيه. ومن الممكن استخلاص تعريف جامع مانع للوقف منهم على النحو الآتي: "الوقف هو: حبس عين يمكن الانتفاع بها، وذلك بمنع التصرف في رقبتها بأي تصرف ناقل للملكية، وتسبيل منفعتها بجعلها لجهة من جهات الخير ابتداءً وانتهاءً[viii].

وبناءً عليه، فإن الوقف يخرج العين الموقوفة من ملك الواقف إلى ملك الموقوف عليهم، ويكون ملكهم ملكًا ناقصًا، فلا يجوز لهم التصرف فيها بتصرف ناقل للملكية، مثل البيع والهبة، وإنما ينتفعون بغلتها على وجه اللزوم[ix].

ينقسم الوقف إلى ثلاث أقسام وهي: الوقف الخيري، والوقف الأهلي، والوقف المشترك، والوقف الخيري هو ما تم وقفه أصلاً على جهة من جهات البر والخير التي لا تنقطع، ويقوم على حبس عين بعينها على ألا تكون ملكًا لأحد من الناس، وجعلها وريعها لجهة من جهات من جهات البر لتعم جماعة المسلمين. في حين جُعل الوقف الأهلي أول الأمر على مُعيَّن، سواء أكان واحدًا أو أكثر- هم وأعقابهم- إلى الفقراء، ويقوم على أساس حبس العين والتصدق بريعها وثمارها في وجوده الخير في الحال أو المآل، فإنه يذهب أولاً إلى ذريته، أو غيرهم طبقًا للشروط التي يحددها الواقف، ثم جعل الوقف بعد ذلك على جهة البر والخير، ومن ثم يكون أساس التفرقة بين الوقف الخيري والوقف الأهلي: الجهة الموقوف عليها أول الأمر[x].

أما القسم الثالث فهو: الوقف المشترك، ويجمع بين الوقف الخيري والوقف الأهلي، وهو الذي تم ابتداءً على الذرية، وعلى جهة من جهات البر في وقت واحد، بمعنى أن الواقف قد جمعهما في وقفه، فجعل لذريته نصيبًا من العين الموقوفة، وللبر نصيبًا محدودًا أو مطلقًا في الباقي أو العكس[xi]. ويلاحظ في هذا الشأن أن الوقف بأنواعه الثلاثة كان موجودًا في العصور الأولى للإسلام، فقد كان يدخل في عموم الصدقة دون أن يُسمى وقفًا[xii].

وبصفة عامة، أسهم نظام العمل بالوقف بدورٍ فعالٍ في بناء صرح الحضارة الإسلامية، والمحافظة عليها على مر العصور، حتى غدا قاعدة أساسية من قواعد بناء مؤسسات المجتمع.

ونظرًا لأهمية الأوقاف في النواحي الاقتصادية والاجتماعية، فكان لازمًا على الظاهر بيبرس أن يوليها اهتمامًا خاصًا، وأن يجعل إشراف الدولة على نظام الأوقاف بشكل مباشر، فما كان منه إلا أن جعل النظار يشرفون عليها ويضبطون حساباتها، وفرضّ عليهم وضع النظم لضبط حركة الإيرادات والمصروفات، وأوجب عليهم صرف ومتابعة ومراقبة رواتب الموظفين العاملين على الأوقاف، وكذلك المحافظة على حقوق الجهات الموقوف عليها[xiii].

كذلك يجدر بنا، في هذا الموضع من الدراسة، أن نتعرف على اختصاصات ومهام ناظر الحرمين (الوظيفة التي تولاها علاء الدين أيدغدي)، فقد كانت هذه الوظيفة توكل إلى أكابر الأمراء والمشهود لهم بالكفاءة، وكانوا يباشرونها بأنفسهم، ويعملون دائمًا بجد واجتهاد للارتقاء بالحرمين الشريفين ثقافيًا وحضاريًا[xiv].

ولعل أهمية تلك الوظيفة تكمن في ضبطها إيقاع الهيكل الإداري وتحديد المهام والاختصاصات، وساعدت السلطة المركزية في إحكام قبضتها على زمام الأمور؛ لأن متوليها لديه صلاحيات ومهام يجب أن يؤديها، ولذا علا شأنه وذاع صيته، وأضحى هناك تنافس على تولي هذا المنصب منذ بداية ظهوره.

ومن الأهمية أن نشير إلى أن وظيفة ناظر الحرم تعتبر من أقدم الوظائف الكبرى في بيت المقدس، فوجدت في العصر الأيوبي مع الأيام الأولى لتحرير بيت المقدس من جحافل الصليبيين، ٢أكتوبر ١١٨٧م/٢٧رجب ٥٨٣هـ، وكان على ناظر الحرم الإشراف على حرم بيت المقدس[xv].

وأورد أبو اليمن العليم: "أن السلطان صلاح الدين اختار الشيخ موسى بن غانم الأنصاري وعينه ليتولى مشيخة الحرم القدسي والنظر في أوقافه. ثم اقتفى حكام الأسرة الأيوبية خطى صلاح الدين في هذا الشأن. وعندما قامت دولة المماليك الأولى؛ وقع اختيار السلطان الظاهر بيبرس على أحد الأمراء الكبار الذين كانوا في جيشه وهو: الأمير علاء الدين أيدغدي بن عبد الله الصالحي النجمي، لتبوأ هذه الوظيفة. واستحدث الظاهر بيبرس مهام جديدة لهذه الوظيفة بحيث يكون متوليها ناظرًا للحرمين الشريفين (حرم بيت المقدس والحرم الإبراهيم في الخليل) وليس الحرم القدسي فقط، كما كان الحال في عهد الدولة الأيوبية[xvi].

ومن اختصاصات ناظر الحرمين: الإشراف عليهما وبناء وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح، أضف إلى ذلك إشرافه على الأوقاف الخاصة بهما، وتثمير تلك الأوقاف لصالح الحرمين[xvii]، أما أموال الأوقاف الزائدة فكان يحتفظ بها في صندوق الصخرة، وكان بعض السلاطين يعملون على العناية بأوقاف الحرمين، فيرسمون بعمارة ما يحتاج إلى عمارة وترميم وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح من أموال الدولة[xviii].

نال هذا المنصب أهمية خاصة في ظل الدولة المملوكية؛ لأن أبعاد السياسة المملوكية اتخذت مسارين أساسيين: أحدهما عسكري يعتمد على قوة الجيش المملوكي لفرض الأمر الواقع، وثانيهما ديني يستند على قوة دينية عناصرها: الخلافة العباسية في القاهرة، وأهل العمامة، والمنشآت الدينية، فقد امتزجت الوحشية بالتقوى في عصر سلاطين المماليك بشكل مثير؛ إذ اشتهر أولئك المقاتلون الأفذاذ بقسوتهم في التعامل مع خصومهم، ولكنهم خلفوا أيضًا تراثًا رائعًا من المنشآت التي وظفت لأغراض دينية واجتماعية، ما تزال قائمة في مدن مصر والشام تحكي عن عظمة ذلك العصر. وهو ما نعتبره انعكاسًا للبعدين الديني والعسكري في سياسة هذه الدولة، التي ظلت تقود العالم الإسلامي على مدى أكثر من قرنين ونصف من الزمان[xix]. وعلى الرغم من كافة الجهود المضنية التي بذلها السلطان الظاهر بيبرس، على الصعيد السياسي والديني والاجتماعي، لتوطيد سلطته في الداخل، فإن بقاء هذه الدولة التي يجلس على عرشها ظل رهينًا بأدائها الدور التاريخي المنوط بها؛ أي بالقضاء على الأخطار الخارجية وحماية العالم الإسلامي[xx].

نجحت الدولة المملوكية الأولى في أداء دورها المنوط بها على أكمل وجه؛ لأنها أحسنت اختيار رجالها، سواء في المناصب السياسية أو المناصب الدينية، فصار الجميع شركاء في إدارة عجلة التقدم والازدهار الحضاري.

نجحت الدولة المملوكية الأولى في أداء دورها المنوط بها على أكمل وجه، لأنها أحسنت اختيار رجالها، سواء في المناصب السياسية أو المناصب الدينية، فصار الجميع شركاء في إدارة عجلة التقدم والازدهار الحضاري.

أقدم السلطان الظاهر بيبرس على استحداث مهام لمنصب ناظر الحرمين الشريفين بالقدس والخليل؛ واتجه إلى إرساء نظم معينة لإدارة الأوقاف من خلال النظار، وكانت مهمتهم ضبط حسابات الأوقاف الخيرية، من حيث إيراداتها ومصروفاتها من ناحية، ومن ناحية أخرى المحافظة على حقوق الجهات الموقوف عليها، وفي مقدمتها المساجد، ومن ناحية ثالثة تنظيم صرف مرتبات موظفي تلك الجهات من خلال دفاتر وقلم محاسبات، وقد استلزم ذلك وضع تقنين ينظم العلاقة بين الناظر بصفته ممثلاً للحكومة وبين الوقف[xxi].

بذلك يكون الظاهر بيبرس قد أضاف مهامًا جديدة إلى ناظر الحرمين، وجعل هذا المنصب يحمل بين طياته صلاحيات عديدة لمن يتولاه، وفي ذلك دلالة على وعي السلطان الظاهر بيبرس وكثرة خبراته واحتكاكاته، فصار لديه قدرة فائقة على حسن قراءة الأحداث السياسية بشكل جيد، والتعامل معها بما يناسبها، فساهم هذا المنصب، بدعم السلطان، في دفع العجلة الحضارية والإدارية إلى الأمام، وحقق نوعًا من الاستقرار والتوازن.

يتبين مما سبق أن وظيفة ناظر الحرمين الشريفين شهدت ظفرةً كبيرةً، وتطورًا ملحوظًا، في عهد الظاهر بيبرس، وأُضيف إلى متوليها عديدٌ من المهام، ونال كثيرًا من الصلاحيات، حتى أضحت من أبرز وأهم الوظائف في تلك الآونة، وساهمت بشكل مباشر في دفع عجلة التقدم والحضارة إلى الأمام، من خلال الدور الذي كان يقوم به ناظر الحرمين الشريفين.

ثالثاً: دور الأمير علاء الدين أيدغدي الأعمى الحضاري في القدس والخليل:

يحسن بنا في هذا الموضع أن نتعرف على شخص الأمير علاء الدين أيدغدي، فهو الأمير الكبير: علاء الدين الأعمى الأيدغدي بن عبد الله الصالحي النجمي، كان من أكابر الأمراء، فلما كف بصره أقام بالقدس الشريف، وكان مشهودًا له بالكفاءة وحسن السيرة. ومع بداية عام ٦٦١هـ/١٢٦٣م، أمر السلطان الظاهر بيبرس بتعيين الأمير علاء الدين أيدغدي الأعمى، في وظيفة ناظر الحرمين الشريفين بالقدس والخليل، واستمر فيها ما بين سنتي (٦٦١-٦٩٣هـ/١٢٦٣-١٢٩٤م) وقد ارتقى هذا الأمير أثناء ولايته بشئون القدس والخليل كثيرًا[xxii].

أفادت الأوقاف الأمير علاء الدين الأعمى في القيام بدوره على أكمل وجه، ومن أشهر هذه الأوقاف: وقف تميم الداري، فهو الصحابي الجليل تميم بن أوس الداري، كان نصرانيًا من أهل الخليل، ومن علماء أهل الكتاب وأحبارهم، ولديه علم بكثير من الغيبيات التي تحدث بها النبي صلى الله عليه وسلم. ولذلك كان يستشهد به في بعض الأمور السمعية، مثل قصة المسيح الدجال. ويُذكر لتميم أيضًا أنه أول صحابي أضاء المسجد النبوي بالسرج، وحكى به قصصًا لم تأت تفاصيلها في القرآن، وأنه روى ثمانية عشر حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما أهداه فرسًا استخدمها في الغزوات، وكان واحدًا ممن دونوا القرآن، كما كان يقوم مقام النبي صلى الله عليه وسلم في إمامة المسلمين في الصلاة ويصحبه في غزواته[xxiii].

وبعد فتح المسلمين فلسطين (١٦هـ/٦٣٧م) على عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) نُصب تميم الداري أميرًا على بيت المقدس، وتولى وعظ الناس، باسم عمر[xxiv]، وما من شك أن هذا المنصب جعله خبيرًا بأوضاع القدس والخليل وغيرهما من بلاد فلسطين[xxv].

تحدثت كتب التراث الإسلامي عن الإقطاع الذي حازه الصحابي تميم الداري، حيث أورد الحافظ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) حديثًا، قام بتخريجه وتصحيحه، منسوبًا إلى تميم جاء فيه قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن لي جبرة من الروم بفلسطين، لهم قرية يُقال لها: حبرى[xxvi] وأخرى يُقال لها: بيت عينون[xxvii]؛ فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي. قال: هما لك. قال فاكتب لي بذلك كتابًا. فكتب له "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الداري: أن له قرية حبرى وبيت عينون كلها، سهلها وجبلها، وماءها وحرَّتها وأنباطها[xxviii] وبقرها[xxix] ولعقبة من بعده[xxx] لا يحاقه[xxxi] ولا يلجها عليهم أحد بظلم، فمن ظلمهم أو أخذ منهم شيئًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" وكتب علي بن أبي طالب، فلما ولى أبو بكر رضي الله عنه (١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م) كتب لهم كتابًا نسخته: "هذا كتاب من أبي بكر الذي استخلف في الأرض بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم[xxxii]، كتبه للداريين، أن لا يفسد عليهم مآثرهم[xxxiii]: قرية حبرى وبيت عينون، فمن كان يسمع ويطيع فلا يفسد منهما شيئًا وليقم عمرو بن العاص عليهما، فيمنعهما من المفسدين[xxxiv].

وقد خلص المقريزي بعد دراسة مدققة إلى القول بأن: "فلما كان زمن عمر رضي الله عنه، وفتح الشام أمضى له ذلك[xxxv]، وهذا بعد الانتصار على الروم في موقعة أجنادين، جمادى الأولى ١٣ه/ يوليو ٦٣٤م[xxxvi]. وبذلك سنحت الفرصة أمام الخليفة الثاني فأقدم على تنفيذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم، فوهب الإقطاع لتميم.

ثمة نقله مهمة حدثت عند تسليم الأراضي المقطعة لتميم الداري وقت التنفيذ، ففي رواية أخرى على لسان تميم أوردها ابن عساكر بسنده يضيف: "فجعل عمر، رضي الله عنه، ثلثها لابن السبيل، وثلثها لعمارتها وثلثها لنا"، أي لتميم وأقاربه، وأوردت الرواية كذلك عبارة أخرى لها دلالاتها ونصها: "وقال عمر لتميم: هما قريتان من الشام، ليس لك أن تستخدم أهلها ولا تبيح، ولكن خراجهما لك فلم يزل ذلك لهم"[xxxvii].

ولما كان العلماء قد أقروا بمبدأ أن للإمام ولاية عامة، وله أن يتصرف في مصالح المسلمين[xxxviii]، فلا شك أن هذا يضفي على عطية أمير المؤمنين عمر الصحة التامة. كذلك نلحظ أن هذه الشواهد تجعل من الإقطاع وقفًا، فضلاً عن صفته الأصلية، ويؤكد المؤرخ المقريزي على ذلك فيما قال: "إنه ليس في من الآثار التصريح بالوقفية، إلا ما في الأثر السابق عن عمر، رضي الله عنه، أنه شرط أن لا يبيع، (أي تميم) وأن يخرج ثلثًا لأبناء السبيل، وثلثًا في العمارة والذي يتحرر أن ذلك كان أرصادًا له ولذريته إلى آخر الدهر"[xxxix].

ومما نبه إليه المقريزي أيضًا، أن الإقطاع لم يشمل مغارة المكفيلة Makphila[xl] "التي فيها قبور الأنبياء عليهم السلام بالخليل فلا يحل لأحد بحكرها فإنها لم تدخل في العطية لكون إبراهيم الخليل عليه السلام، اشتراها لدفن أهله، فإن العطية إنما وقعت على ما لا ملك فيه لمسلم ولا اختصاص، فكيف إذا كان لنبي من أنبياء الله تعالى عليهم السلام"[xli].

بناءً على ما تقدم: يُعد وقف تميم الداري باكورة الأوقاف الإسلامية التي ربما هدف من خلالها سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- إلى سن مجموعة من الأسس والقواعد التي يجب أن تتبع في ممارسة العمل الخيري بين المسلمين، فكانت الأوقاف بالنسبة لهم هي المجال المتميز لكل ما يحقق الأجر والمثوبة عن صدقاتهم الجارية، بغية تثقيل موازينهم يوم الحساب. لذلك حرص عامة المسلمين من أصحاب الممتلكات على وقفها لينفق منها على جهات سبل الخير المختلفة، ليجمعوا بين خيري الدينا

والآخرة، أما خير الدنيا فبالمحافظة على العين الموقوفة حيث لا تُباح ولا توهب، وأما خير الآخرة فهو امتداد ثوابها إلى صاحبها بعد موته[xlii]، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"[xliii].

وفي هذا الموضع من الدراسة، نجد من الضروري تفسير إقدام السلطان الظاهر بيبرس على استحداث منصب ناظر الحرمين الشريفين بالقدس والخليل، في ظل وجود الدارين أصحاب الإدارة الأولين، فإن الأصل في إدارة الأوقاف هو: أنها إدارة أهلية مستقلة، تعمل وفق مبدأ التسيير الذاتي، بعيدًا عن التدخل الحكومي، يحدوها في ذلك المصلحة الشرعية، إلا أن الممارسة الفعلية للوقف الداري، تطلبت في المرحلة التالية تدخل الإدارة الحكومية ممثلة في السلطان، الذي اتجه إلى إرساء نُظم مُعينة لإدارة الأوقاف من خلال النظار أمثال (علاء الدين أيدغدي) وكانت مهمتهم ضبط حسابات الأوقاف الخيري من حيث الوارد والمنصرف، والمحافظة على حقوق الجهات الموقوف عليها، وفي مقدمتها المساجد، ومن ناحية ثالثة تنظيم صرف مرتبات موظفي تلك الجهات من خلال وضع دفاتر وقلم محاسبات، وقد استلزم ذلك وضع تقنين ينظم العلاقة بين علاء الدين أيدغدي، بصفته الناظر وممثل الحكومة وبين الوقف[xliv].

لا ريب في أن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وإسناد الأمر لأهله، أفاد كثيرًا، وأعطى نظارة القدس والخليل دورًا بارزًا تجلي في عدة نواح: معمارية واقتصادية واجتماعية، لاسيما بعد توافر الأموال المطلوبة لمثل هذا الإجراء، من خلال الأوقاف وخزانة الدولة المملوكية.

دور الأمير علاء الدين أيدغدي في النواحي المعمارية بالقدس والخليل: نالت النواحي المعمارية في القدس والخليل اهتمامًا كبيرًا من قبل علاء الدين أيدغدى، مرتكنًا إلى الدور الذي لعبه وقف تميم الداري في هذا المضمار، باعتبار أن وقف الداريين غدًا جزءًا لا يتجزأ من عمل الناظر، بحكم تداخل دوره مع إشراف الداريين على وقفهم[xlv].

ويجب في هذا الموضع الإشارة إلى أن تعيين الناظر لم يعن إلغاء إشراف الداريين على وقفهم، إنما كان ذلك بمثابة إحداث طفرة إدارية، تنظم العمل بشكل يتوافق مع تضاعف حجم هذا العمل، في مجاليه المعماري والاجتماعي، حيث أصبحت المتطلبات الحقيقية للحرم أكثر من طاقة ريع الوقف الداري. ولا يمكن تفسير تلك الخطوة إلا بأنها تعبر عن مزيد من الاهتمام بالمزار الإبراهيمي الشريف بالخليل[xlvi].

ويلفت النظر اهتمام سلاطين المماليك وأمرائهم ببناء الأماكن الدينية، والمعاهد التعليمية والمؤسسات الاجتماعية، ويتضح من المصادر أن هؤلاء نظروا إلى رجال الدين والفقهاء والمشايخ، ورجال العلم، نظرة إجلال. ولعل كونهم طبقة عسكرية حاكمة، تملك الكثير من المال والقليل من المعرفة في هذه الحقول، جعلها تعوض هذا النقص بالبذل السخي لإقامة هذه المنشآت، ولقد أكثر المماليك من هذه المباني وأغدقوا عليها الأوقاف، وبذلوا الأموال الوفيرة على تجميل عمارتها وتزيين داخلها وظاهرها، وانتشر ذلك في جميع أنحاء ملكهم، ونالت القدس قسطًا وافرًا منها. واعتنى المماليك بتزيين المدينة: مداخلها ومساجدها وقبابها، وعماراتها وسبل الماء فيها وأسواقها. وقد أوكل السلطان الظاهر بيبرس أمر الإشراف على البناء والعمارة إلى الأمير علاء الدين أيدغدي، حيث أشرف على البناء والإصلاح في القدس، وكذلك أشرف على الأوقاف الخاصة، وعمل على تثميرها، وعمر ما يحتاج إلى عمارة وأصلح ورمم ما يحتاج إلى إصلاح[xlvii].

ومعظم أروقة الحرم القدسي الشريف بُنيت في أيام المماليك، وتحت رعاية ومسئولية علاء الدين أيدغدي، فقد أشرف على عمارة وترميم المدرستين الصلاحية والمعظمية (اللتين بناها صلاح الدين والمعظم الأيوبيان)، وأقام المماليك عددًا كبيرًا من المدارس في القدس منها: الدوادارية والوجيهية والسلامية والكريمية والتنكزية والأمينية والملكية والفارسية والخاثونية والباسطية والحسنية والعثمانية والجوهرية والأشرفية والجاولية وبعض هذه المدارس سبق عهد علاء الدين، وبعضها تزامن معه، وبعضها تم بعده، وقد شهدت القدس أيضًا، إبان نظارة علاء الدين أيدغدي، بناء العديد من الزوايا الصوفية والخانات والأسبلة، وكذلك البيمارستانات والأسواق والفنادق[xlviii].

أما بالنسبة لمميزات هذه المدارس، فقد اقتصر التدريس في معظمها على العلوم الدينية، بينما اتسعت بعض المدارس، كالصلاحية والأشرفية والتنكزية، لتدريس علوم دنيوية، واستخدمت المدارس المملوكية لعدة أغراض، فبعضها كان مدفنًا لأصحابها والعلماء المدرسين فيها، وقد كان بناء المدارس المملوكية على الطراز السلجوقي[xlix].

وقد ضمت الخليل عددًا من المدارس أهمها: القميرية والفخرية، وعيون الماء: عين سارة وعين الحمام، ومن أبرز مقابرها مقبرة البقيع، وكذلك زخرت بالزوايا والخانات والأسبلة والأسواق والفنادق والبيمارستانات[l].

وتتميز واجهة المدارس في القدس والخليل بالتناظر، وبوجود خط رخامي، إما فوق الباب مباشرةً، أو باختراق الباب من الوسط، ويعلو الكتابة شباك مربع لحراسة الباب، ويتدلى فوق الباب مباشرةً المقرنصات والزخرفات، واتسمت المدارس بالفخامة، وتميز بناء الحجر للواجهة بما يُسمى فن الأبلق، وهو نظام سلجوقي يعتمد على تغيير لون الحجر حسب المدماك، وهذا يعطي الواجهة فخامة وهيبة عمرانية. وكان يوقف على المدرسة أوقاف متنوعة، منها الدكاكين بالأسواق أو الخانات، أو الإنتاج الزراعي لقرية أو أراض أو قرى بأكملها[li].

وصارت القدس والخليل إبان نظارة علاء الدين أيدغدي أكثر ازدهارًا، وحفلتا بالعمائر المملوكية التي كانت نموذجًا رائعًا لتطور العمارة الإسلامية[lii].

وثمة ملاحظة مهمة، وهي أن النواحي المعمارية في القدس والخليل راجت وازدهرت إبان نظارة علاء الدين أيدغدي، فصارت تعبر عن الهوية والحضارة الإسلامية، فقد حافظ الأمير علاء الدين على المعمار القديم ورممه وأصلحه،

واستحدث معمارًا جديدًا متنوعًا يشمل الأبنية الدينية والتعليمية والاجتماعية، فصار المعمار يخدم فئات المجتمع، ويساعد على التقدم والرقي ومواصلة اللحاق بالركب الحضاري.

واصل علاء الدين اهتماماته المعمارية في القدس، حيث قام بالإشراف على بناء أروقة المسجد الأقصى التي تمتد من باب الحرم حتى باب الغوائمة، وعمر السور القبلي عند محراب داود، وجد عمارة باب القطانين، وعمر قناة السبيل[liii] وكذلك ظهرت جهود ناظر الحرمين الشريفين، حيث اهتم بتشييد بناء محكم في الخليل، يضم بعض الغرف بالقرب من الحرم الإبراهيمي، بداخله الأفران والطواحين[liv].

وفي إطار اهتمام الأمير علاء الدين بالرباط في القدس والخليل، أوقف رباط علاء الدين البصير تجاه الرباط المنصوري، وقفه في سنة ست وستين وستمائة ولم يظهر له كتاب وقف، فكتب محضرًا بوقفه، وثبت لدى حاكم الشرع الشريف تاريخ المحضر الثابت بوقفه، يوم الخميس ثامن عشر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، وهو مدفون بالرباط المذكور[lv]، وسُمي رباط البصير، لأن الذي أوقفه الأمير علاء الدين أيدغدي الأعمى، فأطلقوا عليه البصير، لكثرة أعماله الخيرية، ولأنه يرى ببصيرته، وكان هناك أيضًا رباط المنصوري، ويقع على يمين الداخل المسجد الأقصى من باب الناظر، أوقفه الملك المنصور قلاوون الصالحي عام ٦٨١ه/١٢٨٢م استعمل أيام العثمانيين سجنًا للموقوفين، الذين ينتظرون محاكمة، ويسكنه الآن عددٌ من عائلات التكارنة السودانيين الفقراء[lvi].

ترتب على نشاط وقف الداريين الخيري- الذي خضع لإدارة وإشراف علاء الدين أيدغدى والداريين من خلفه، وكذلك ما أضيف إليه من أوقاف أخرى- أن ازدهرت أبنية الحرمين الشريفين في القدس والخليل والدور من حولهما إلى حدٍ كبير، مما أهله للقيام بدوره الديني والاجتماعي بشكل أكثر كفاءة. ولكثرة ما أنفق على العمارة يتبين مدى الثراء الذي انتهى إليه حال الحرمين الشريفين[lvii].

النواحي الاجتماعي في القدس والخليل أثناء نظارة علاء الدين أيدغدي: رافق عهد علاء الدين أيدغدي انتعاش كبير وازدهار عظيم في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، لأن نظارته صاحبها نشر الأمن والأمان في نفوس معتنقي كل الأديان، حتى غدا ذلك من مزايا الحكم الإسلامي. كذلك نلحظ تغلب نشاط الأوقاف ولاسيما وقف تميم الداري في الخليل ونظارة الحرم، في مجال خدمة ابن السبيل من خلال ما كانت تقدمه الضيافة من أطعمة ومأوى[lviii].

وعلى المستوى الرسمي؛ تبرز أمامنا جهود ناظر الحرمين الشريفين "القدس والخليل" الأمير علاء الدين أيدغدي الذي عاصر السلطانين الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٨٩م) حيث اهتم بتشييد بناء محكم ضم بعض الغرف بالقرب من الحرم الإبراهيمي "بداخله الأفران والطواحين، وهو مكان من العجائب يغلق عليه باب واحد، والحاصل الذي يوضع فيه القمح والشعير علوه" وتمكن هذا الأمير من أن يرتفع بالكميات التي كانت الضيافة توزعها من الطعام، من مجرد خمسة كيالج قمحًا وأخرى عدسًا، إلى غرارتين قمحًا، "وهذا يعد من حسن سيرته وطيب أيامه"[lix]، علمًا أن كيلجة القمح في أخريات العصور الوسطى تعدل حوالي كيلوجرامًا ونصف كيلو[lx].

يتبين مما سبق أن كميات القمح التي كانت تُستهلك في الضيافة، أوائل العصر المملوكي، قد تضاعفت عشرات المرات، عما كانت عليه إبان العصر الأيوبي، وفي ذلك دلالة على حسن أداء ناظر الحرمين لمهمته، بجانب حسن سيرته وحبه للخير والإنفاق في سبيل الله.

أحدث ناظر الحرمين نوعًا من التكافل الاجتماعي، وعمل على زوال الأحقاد بين طبقات المجتمع، من خلال حسن الضيافة لابن السبيل والمحتاج والمساكين والفقراء داخل القدس والخليل. وكان وجود ناظر الحرمين بمثابة طفرة إدارية، تنظم العمل بشكل يتوافق مع حجم هذا العمل الاجتماعي، الذي عكس بدوره الوجه الحضاري المشرق للقدس والخليل في العصر المملوكي، ولا سيما إبان ولاية علاء الدين أيدغدي لنظارة الحرمين الشريفين.

كانت الأطعمة والمأوى تُقدم أيضًا في الحرم القدسي من قبل نظارة الحرم، ونال ابن السبيل والفقراء والمساكين حظهم من المأكل والمشرب والمأوى، ولم يتوقف الأمر على الحرم القدسي فقط، بل أُنشئ رباط قلاوون، ويسمى أيضًا الرباط المنصوري عام (٦٨١هـ/١٢٨٢م)، ووقفه على الفقراء من زوار القدس، ويقع هذا الرباط قبلي الطريق المؤدية إلى الحرم من الغرب عند باب الناظر، وأولى علاء الدين جل اهتمامه لخدمة الفقراء والمساكين وابن السبيل من رواد الحرمين الشريفين[lxi].

وفي إطار اهتمام السلطان بيبرس بشئون الحرمين (القدس والخليل) وضيافتيهما، حرص على وضع الضوابط تنظيمًا وترتيبًا للمزار والزوار، وكان علاء الدين أيدغدي حريصًا على بذل أقصى جهد للحفاظ على هذه الضوابط والتنظيمات، لمزارات القدس التي قصدها المحليون والأجانب، ويأتي على رأسها بيت المقدس والمسجد الأقصى[lxii].

فقد ورد في الصحيحين "من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض أولاً، قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي قال: المسجد الأقصى، قلت كم بينهما قال أربعون عامًا"[lxiii].

وكذلك كانت قبة الصخرة من أشهر المزارات، ويروي يزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان. أن عبد الملك حين همّ ببناء صخرة بيت المقدس والمسجد، قدم من دمشق إلى بيت المقدس، وبعث الكتب في جميع عماله، وإلى جميع الأمصار:

أن عبد الملك قد أراد بناء قبة على الصخرة، صخرة بيت المقدس، تقي المسلمين من الحر والبرد، وكان بداية من عام سبعين من الهجرة[lxiv].

كانت دار الحديث من أهم وأبرز مزارات القدس، وهي تقع بجوار التربة الجالقية على طريق باب السلسلة، وقفها الأمير شرف الدين عيسى ابن بدر الدين علاء الدين أيدغدي ناظر الحرمين، واهتم بالمزار وبشئون ضيافته، سواء كان الزوار من السكان المحليين أم من الأجانب، وقد أيضًا علاء الدين الواجبات للمسافرين والمجاورين والفقراء من الناس القاصدين هذا المزار[lxv].

لعله ليس من بين بلدان الدنيا بلد يحق لها أن تفاخر غيرها بما حوته من مقدسات كمدينة بيت المقدس، فهي موطن كثير من الأنبياء والرسل. يقول عنها القزويني: "وهي المدينة المشهورة التي كانت محل الأنبياء وقبلة الشرائط ومهبط الوحي- وما فيه من موضع شبر إلا وصلى فيه نبي أو قام فيه ملك"[lxvi] لذا فهي مهوى أفئدة المسلمين وقرة أعينهم. هذه المدينة التي يقدسها المسلمون مقدسة أيضًا عند المسيحيين، ففيها كثير من الأماكن المقدسة التي ترتبط بتراث المسيحيين مثل كنيسة القيامة، حيث يحج إليها المسيحيون من مختلف الأقطار، بل إن المسيحيين الغربيين كانوا يعتقدون، في العصور الوسطى بوجه خاص، أن زيارة بعض الأماكن بها قد تهب التوبة من الذنوب[lxvii].

وما زال اليهود يزعمون نسبة بعض الأماكن بها إلى كثير من أجدادهم الأوائل. وحسب هذه المدينة أن اجتمعت فيها مقدسات الأديان السماوية الثلاثة، وشهدت أرضها آثارًا لموسى وعيسى ومحمد، عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه، لذلك حظيت مدينة بيت المقدس بمكانة خاصة في جميع أنحاء العالم قديمه وحديثه، بالرغم من أنه ليس لها كثير من الخواص الطبيعية التي تحالف المدن الكبرى، فهي لا تقع على مجرى مائي عظيم، ولا هي ميناء، ولا هي واقعة على طريق رئيسي، أو عند ملتقى عدة طرق، كما أن أراضيها بركانية فلا يصلح الكثير منها للزراعة التي كانت عنصرًا رئيسيًا في قيام كثير من الحضارات القديمة، ومع هذا فهي تعتبر، من قديم الزمان، ذات مركز ديني أكثر منها ذات وضع سياسي[lxviii].

ونتج عن اهتمام علاء الدين، ناظر الحرمين الشريفين، بالمزارات وإصلاحها وترميمها وحسن الرعاية والضيافة للزوار، أن حدثت طفرة داخل المجتمع، حيث صارت معظم المزارات بمثابة مؤسسات اجتماعية، يُقدم من خلالها الرعاية والإنفاق والمأكل والمشرب للمحتاجين والمساكين وابن السبيل، وفي الوقت ذاته كانت مهبطًا للرحالة والزوار من شتى البقاع، مما انعكس على النواحي الحضارية بالإياب، حيث الاحتكاك والنقل عن الآخر والتبادل الفكري والثقافي، وكذلك تبادل المؤثرات في النواحي الاجتماعية، من مأكل وملبس وعادات وتقاليد، وأحدث ذلك كله ازدهارًا ملحوظًا ورواجًا حضاريًا كبيرًا.

أما عن أشهر المزارات في الخليل: فيأتي المسجد الإبراهيمي على رأسها، لاسيما بعدما شهده الحرم الإبراهيمي من إعمار في العصر المملوكي، فقد حدثت تعديلات معمارية عديدة على الحرم الإبراهيمي، حيث زيد في بنائه وملحقاته، واستعاد الحرم ازدهاره العمراني، فقد قام السلطان الظاهر- بيبرس في عامي ٦٦٥-٦٦٦هـ/١٢٦٧-١٢٦٨م وبمشاركة علاء الدين أيدغدي- بتجديد القبة الرئيسية للمسجد، وتجديد قبر الخليل عليه السلام، وزاد في الرواتب التي كانت تصرف على المقيمين، وعمر مخزم سماط الخليل، ورتب كذلك الأخشاب، والأبواب في المسجد، ودهن ما يحتاج منها إلى الدهان، كما أصلح المطاهر وأماكن الوضوء[lxix].

وإبان عهد المنصور سيف الدين قلاوون، أمر بتغطية أجزاء واسعة من الحرم بالرخام، في عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م، ووقف علاء الدين أيدغدي بنفسه على الأعمار[lxx]، ويبدو أن هذه الأعمال كانت كبيرة، إلى حد أنها عُدت بمثابة تجديد الحرم الإبراهيمي[lxxi].

اشتهرت الخليل أيضًا بالعديد من قبور ومقامات الأنبياء، والأولياء الصالحين، التي كانت محط أنظار الناس، وفي مقدمتها قبور الأنبياء: إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وزوجاتهم، بجانب مقام تميم بن أوس الداري، وقبر يونس عليه السلام، وقبر لوط عليه السلام، ومقام فاطمة بنت الحسين بن علي، وغيرها من المشاهد والقبور التي انتشرت في أرجاء كثيرة من الخليل، وصارت مقصدًا للقاصي والداني[lxxii].

وزخرت مدينة الخليل أيضًا بالزوايا، وأشهرها زاوية "الشيخ علي البكا" في الحارة التي تحمل اسم صاحبها، حارة الشيخ الذي توفي عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م، وكذلك زاوية القاسمي، وتقع هذه الزاوية في حارة الشيخ علي البكا، وتُنسب إلى مؤسسها الشيخ أحمد القاسمي، وزاوية الشيخ خضر في حارة قبطون، بناها الظاهر بيبرس للشيخ خضر عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، ورتب لها من مال البلد راتبًا يجري على الفقراء المقيمين بها والواردين عليها[lxxiii].

ومن الأربطة التي وجدت في الخليل: الرباط المنصوري الذي عمره المنصور قلاوون عام ٦٧٩هـ/١٢٨٠م، لسكنى الزوار والفقراء، وعرفت الخليل أيضًا العديد من المدارس (السلطان حسن- القميرية- الفخرية) والحمامات وقنوات المياه، وتعد الحمامات من المؤسسات الاجتماعية الهامة في المجتمع الإسلامي، وكانت مركزًا للراحة النفسية لاجتماعات المرحة، وقد كان للحمام دور ديني يتمثل في الطهارة والنظافة التي يحض عليها الإسلام، وكان الناس يقصدون الحمامات والعامة من مختلف الطبقات، رجالاً ونساءً للاستحمام، وكانت الحمامات تستعمل كمنشآت صحية للعلاج من الأمراض المختلفة، وفيها موظفون متخصصون في المعالجة وعلى رأسهم: المدلكون، والحلاقون، والحجامون. وللحمام منافع كثيرة منها: توسيع مسامات لجسم ومعالجة الإسهال والإمساك، وإذهاب الكحة والجرب وترطيب البدن، وإذهاب الحمى وغيرها. وبُنيت الحمامات بشكل هندسي وفني جميل ورائع[lxxiv].

وقد وجد بالخليل حمام بناه الأمير علاء الدين أيدغدي ورسم أساسه بيده، وخرج بشكل هندسي رائع، وتزود هذا الحمام بالمياه من عين الحمام التي تصب فيه[lxxv].

مما سبق يتبين أن علاء الدين أيدغدي كان بمثابة المهندس المعماري الماهر، الذي أشرف وأصلح ورمم ورسم بيده أروع طرز معمارية وفنية، شهدتها مدينتنا القدس والخليل في العصر المملوكي، وفي الوقت ذاته اعتنى عناية فائقة بالنواحي الاجتماعية، حتى أضحى سندًا لكل محتاج أو فقير أو عابر سبيل، وكان راعيًا كريمًا لكل ضيف أو زائر، قاصد القدس والخليل، فكان علاء الدين أيدغدي رجلاً ألمعيًا يستحق الإشادة والتقدير لما قدمه من إنجازات حضارية.

ومن أبرز المنشآت والمزارات، ذات الطابع الاجتماعي، التي أشرف عليها الأمير علاء الدين: سماط الخليل الذي يُطلق عليه اسم مائدة الخليل، والمتمثلة في تقديم الوجبات المجانية لزوار الحرم الإبراهيمي أو للمجاورين، وكذلك للمسافرين والمارين عليه وعابري السبيل وفقراء الناس والمقيمين في الخليل[lxxvi]، فهذه المنشأة شملت جميع قاصدي الحرم الخليلي، سواء أكانوا أغنياء أم فقراء، أما عابري سبيل. فهي بمثابة هيئة دولية تقدم المأوى والمسكن والمأكل والمشرب للمحتاجين والزائرين، دون قيد أو شرط، ومارست عملها بإتقان تحت إشراف الأمير علاء الدين أيدغدي.

وفي إطار اهتمام السلطان الظاهر بيبرس بشئون الحرم الخليل وضيافته، أمر نائب السلطنة عز الدين الحلبي، أن يزور الخليل للوقوف على أخبارها، في الفترة الواقعة بين صفر وربيع الآخر ٦٦٦هـ/ أكتوبر وديسمبر ١٢٦٧م، وتوجه إلى الحرم الإبراهيمي لزيارته، وقد بلغه أن اليهود والنصارى تؤخذ منهم حقوق عن زيارة الخليل عليه السلام، والنزول إلى المغارة بنجسهم، فأنكر ذلك، وكتب مرسومًا يمنعهم من دخول المقام الشريف، واستمر الأمر على ذلك[lxxvii]، ويتأكد من ذلك أن الأوروبيين، سواء أكانوا يهودًا أم نصارى، واصلوا زيارتهم للحرم طوال العقود السبعة الماضية، منذ الوجود الصليبي بالخليل، وبالتالي فإن الضيافة كانت تستقبلهم رغم كونهم أجانب، جنبًا إلى جنب مع المجاورين والزوار المسلمين. كما يلاحظ أن حظر السلطان بيبرس قد اقتصر على منع هؤلاء الأجانب من النزول إلى مغارة الأنبياء، حتى ولو كانوا يقدمون أموالاً في مقابل الزيارة[lxxviii].

لقد أفادت ضيافة الحرم الإبراهيم من وقف تميم الداري، وما أُضيف إليه من أوقاف وصدقات، إلى حدٍ دفع المهتمين من المعاصرين إلى الحديث عنها في انبهار، وفيما يتعلق بالمسلمين منهم: تشير كتابات الرحالة القزويني (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) حين زيارته للخليل، إلى الضيافة وذكر أنها "موضع طيب نزه آثار البركة ظاهرة عليه"[lxxix].

ننتقل في هذا الموضع من الدراسة إلى التعرف على الدور الإداري للأمير علاء الدين أيدغدي في القدس والخليل: وبدايةً يجل أن نعرف أن أنواع الصلاحيات التي كان يمارسها- كناظر للحرمين الشريفين- صُنف معظمها على أنها نواحٍ إدارية متصلة بإدارة الأماكن المقدسة، والمؤسسات الخيرية ذات الطابع الاجتماعي. فكان الناظر هو الذي يتولى الإشراف على أموال الأوقاف التي تُرصد للحرمين والمؤسسات التابعة لهما. وكانت له الصلاحية في تعيين الموظفين للقيام بالمهام ذات الطابع الديني التعبدي، كأئمة المساجد وخطبائها ومؤذنيها، ليس هذا فحسب، بل كانت صلاحيات الناظر تتعدى هذا النطاق، لتشمل أمورًا إدارية بعيدة كل البعد عن الأماكن المقدسة، مثل: صلاحية جباية الأموال وفرض الضرائب في بعض الأحيان على أهل ناحيته[lxxx].

كان الأمير علاء الدين أيدغدي يتولى الإشراف على الحرم الإبراهيمي والحرم القدسي، وكان يُسمى أيضًا ناظر القدس والخليل، وهذه المهمة لا يتولاها إلا أمير كبير برتبة طبلخانة[lxxxi]، أو أحد العلماء المعروفين بورعهم وصلاحهم، وكان الأمير علاء الدين مختصًا بترتيب الوظائف في القدس والخليل، ورعاية السماط الخليلي والمحافظة على تقديم طعامه للفقراء وزوار الحرم، وكان الناظر يلي وظيفته بمرسوم صادر عن السلطان المملوكي في القاهرة[lxxxii].

كان هناك عدة وظائف شارك الأمير علاء الدين أيدغدي، بصفته ناظر الحرمين، في اختيار أصحابها، وفي بعض الوظائف كان لازمًا عليه أن يحضر مراسم التتويج للوظيفة، وكانت هذه الوظائف تنعت بكونها وظائف دينية[lxxxiii].

تعتبر وظيفة المشيخة الصلاحية من الوظائف السنية المهمة بدولة الإسلام، وهي قائمة على تدريس المذهب الشافعي في المدرسة الصلاحية ببيت المقدس، ولا يتم توليتها إلا بمرسوم سلطاني من القاهرة، وعند التعيين يدخل شيخ الصلاحية المدينة، ويشق أسواقها، وقد ارتدى التشريف السلطاني، يحف به العلماء والفقهاء والنائب والناظر، وينتهي إلى المسجد الأقصى، حيث يُقرأ المرسوم السلطاني. وشيخ الصلاحية أحد الثلاثة الكبار الذين يصرفون شئون نيابة بين المقدس، أما الآخران فهما: نائب السلطنة وناظر الحرمين الشريفين (علاء الدين أيدغدي) [lxxxiv] وفي أحيان أخرى كان شيخ الصلاحية يتقلد منصب قاضي القضاة الشافعية في بيت المقدس، أو يجمع بين ناظر الحرمين الشريفين ومشيخة الصلاحية[lxxxv].

أما عن وظيفة القضاء: فكان قاضي القضاة رأس الهيئة القضائية في نيابة القدس، وفي العصر المملوكي جعل السلطان الظاهر بيبرس القضاء في أربعة قضاة، وقد عمم هذا النظام في معظم النيابات في البلاد الشامية والديار المصرية، أما في بيت المقدس فقد اقتصر الأمر على قاضٍ شافعي، ثم تطور الأمر تدريجيًا حتى أصبحوا أربعة قضاة، فاستحدث منصب قاضي قضاة الحنفية في عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، أما المالكي فظهر في عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، وكان آخرها الحنبلي، حيث أوجد هذا المنصب عام ٨٠٤هـ/١٤٠١م، وكان لقاضي القضاة نائب في كل من نابلس والرملة والخليل، وفي أحيان أخرى كانت كل مدينة تنفرد بقاضيها[lxxxvi].

كان التعيين في منصب قاضي القضاة بمرسوم شريف من السلطان، وكعادة الموظفين الكبار في النيابة، يدخل القاضي المعين مدينة بيت المقدس مرتديًا خلعة السلطان، ويقرأ توقيعه في المسجد الأقصى بحضور النائب والناظر (علاء الدين أيدغدي) وبقية القضاة وأعيان النيابة، ثم صار القضاة يبذلون الأموال للحصول على وظيفة قاضي القضاة في بيت المقدس[lxxxvii].

كانت مهنة الخطابة من أهم المهن والوظائف الدينية، ونعني بالخطابة، خطابة المسجد الأقصى وقبة الصخرة والمسجد الإبراهيمي في الخليل، والخطابة من أجل الوظائف الدينية في النيابة وأعلاها رتبة، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بها بنفسه، ثم حرص الخلفاء الراشدون على أدائها من بعده.[lxxxviii] ويتم التعيين في إمامة وخطابة الحرمين القدسي والإبراهيمي من قبل قاضي القضاة[lxxxix]، ثم من علاء الدين أيدغدي ناظر الحرمين في بيت المقدس، وأخيرًا صار السلطان يتدخل في تعيين إمامة المسجد والصخرة[xc]، فيأتي التقليد والمرسوم من القاهرة، فيدخل الإمام وهو لابس خلعة السلطان، ويقرأ كتاب التقليد في المسجد الأقصى أمام جمهور المصليين والحضور هناك[xci].

واللافت للنظر، أن حضور علاء الدين أيدغدي بصفته ناظر الحرمين، كان من المراسم الرئيسية في تولي بعض الوظائف العسكرية، مثل: نائب السلطنة ونائب القلعة ووالي المدينة والحاجب والدوادار. وشارك علاء الدين أيدغدي في اختيار بعض الوظائف الدينية مثل: المشيخة الصلاحية والمحتسب والخطباء وناظر البيمارستان، وكذلك الوظائف الديوانية مثل: كاتب الدست وناظر بيت المال وناظر الجيش، وقد أدى علاء الدين دوره الإداري على أكمل وجه، ويُحسب له أنه دائمًا ما كان يختار الشخص المناسب للوظيفة دون مجاملة أو محاباة[xcii].

دور علاء الدين أيدغدي في النواحي الاقتصادي: اقتصر دور علاء الدين أيدغدي- كناظر للحرمين الشريفين- على ضبط حسابات الأوقاف الخيرية من حيث إيراداتها ومصروفاتها من ناحية، ومن ناحية ثانية المحافظة على حقوق الجهات الموقوف عليها، وفي مقدمتها المساجد، ومن ناحية ثالثة تنظيم صرف مرتبات موظفي تلك الجهات من خلال وضع دفاتر وقلم محاسبات[xciii].

يُفهم مما سبق أن الأمير علاء الدين أيدغدي ساهم بصفته ناظر الحرمين الشريفين، في إرساء نظم معينة لإدارة الأوقاف وضبط الحسابات والمرتبات ووضع الدفاتر، مما انعكس بالإيجاب على النواحي الاقتصادية، فالأصل في إدارة الأوقاف أنها إدارة أهلية مستقلة، ولكن بمتابعة وإشراف الأمير علاء الدين صار لها صفتها الرسمية، وأُخذ من ريعها للإنفاق على المشاريع المعمارية والاجتماعية، وبذلك لم ترهق خزينة الدولة المملوكية، بل صارت مساعدة لها في عمليات الإنفاق.

علاء الدين أيدغدي والحياة العلمية في القدس والخليل: كانت الحياة العلمية في عهده مزدهرة جدًا، حيث نالت اهتمام السلاطين المماليك، فأكثروا من بناء المدارس في القدس والخليل، وعمل سلاطين المماليك، ومن ورائهم الأمير علاء الدين، على بناء الأماكن الدينية والمعاهد التعليمية والمؤسسات الاجتماعية، وإصلاح وترميم ما يحتاج إلى صيانة[xciv].

ونظر الأمير علاء الدين إلى رجال الدين والفقهاء والمشايخ ورجال العلم، نظرة إجلال، وصرف لهم الأموال والهبات والعطايا وأعطاهم رواتب من الأوقاف، وكان البذل والعطاء بسخاء[xcv].

نالت القدس والخيل قسطًا وافرًا من النواحي العلمية، فازدهرت فيها الدراسات القرآنية والفقهية واللغوية والرياضية والطبية، ولاسيما بعد دخول التتار بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، حيث رحل الكثير من رجال العلم في بغداد إلى القدس وأقاموا فيها، فاستوعبتهم المؤسسات وتبعهم طلاب العلم[xcvi].

كان الأمير علاء الدين يشرف على العملية التعليمية في المدارس، ويقدم الإصلاحات اللازمة لصيانة وضمان تشغيل هذه المؤسسات التعليمية، وأعطى موفور اهتمامه أيضًا إلى المشايخ الصوفية، وتميز الأمير علاء الدين بقدرته الإدارية والتنظيمية والإشرافية، مما سهل عليه القيام بمهمته[xcvii].

الخاتمة

على أية حال، خرجت الدراسة بعدة نتائج كان من بينها:

تبين أن الأمير علاء الدين أيدغدي ذاع صيته في القدس والخليل، لما أظهره من قدرات معمارية واجتماعية واقتصادية وعلمية، ولحسن درايته بالأمور وقدراته الإدارية، فكان متابعًا جيدًا ومراقبًا متميزًا، ومشرفًا مدققًا، فصارت الأحوال إبان نظارته في أحسن حال، وكان لديه فكر ابتكاري، فلم يتوقف عند حدود مهام وظيفته فقط، بل تخطى هذا وتابع وأشرف على النواحي العلمية والاقتصادية والاجتماعية، فصار بحق أحد أبرز عناصر النجاح داخل الدولة المملوكية.

عاصر الأمير علاء الدين أيدغدي السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م)، والسلطان المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)، والسلطان الأشرف صلاح الدين خليل (٦٨٩-٦٩٢هـ/١٢٩٠-١٢٩٢م)، وأظهر كفاءة على عهد السلاطين الثلاثة، فظل محتفظًا بمنصبه كناظر للحرمين الشريفين (القدس والخليل) وأدى مهامه على أكمل وجه، برغم كونه ضريرًا، لكنه أثبت للعالم أجمع أن الإعاقة هي إعاقة الإرادة.

وأثبتت الدراسة أن أهل القدس والخليل، وكذلك سلاطين الدولة المملوكية، نعتوا الأمير علاء الدين بالبصير، برغم كونه كفيفًا، فقد سموا رباط علاء الدين الذي أوقفه يرى بقلبه وبصيرته، ويشرف وينجز كل ما هو موكل إليه من أعباء ومهام، فكانت فترته من أنجح الفترات في نظارة القدس والخليل.

وساهم الأمير علاء الدين أيدغدي في إرساء قواعد النظم الحضارية، وكان صاحب الريادة الحضارية في القدس والخليل، من خلال القدرات المعمارية التي ظهرت خلال فترة ولايته، وشمل المعمار الأبنية الدينية والاجتماعية والتعليمية، وأظهر روح التكافل الاجتماعي وكرم الضيافة، وحسن استقبال الزوار وابن السبيل، وضبط الحسابات والدفاتر والرواتب، وأحسن علاء الدين اختيار الموظفين والمساعدين، وتابع وأشرف على الحركة العلمية، فكان ثمرة يانعة من ثمرات التقدم والحضارة.

لم يقتصر دور الأمير علاء الدين أيدغدي على النواحي الحضارية فقط، بل تعداها إلى النواحي السياسية أيضًا، حيث كان أداة طيعة في أيد سلاطين الدولة المملوكية، وساعدهم على استتباب الأمن والأمان وإرساء النظم السياسية المملوكية داخل القدس والخليل، فكان منصبه دينيًا سياسيًا يجمع بين القدسية والإدارة.

الهوامش:

([i]) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م: السلوك لمعرفة دول الملوك، ٦ أقسام، تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٦–١٩٥٨م، الجزء الثالث والرابع، ٦ أقسام، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٠–١٩٧٢م، جـ٤، ق٢، ص٨١؛ ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي) ت ٧٧٤هـ/١٣٨٧٣م: البداية والنهاية في التاريخ، المعروف بتاريخ ابن كثير، ١٤ج، طبعة القاهرة، ١٣٥١–١٣٥٨هـ، جـ١٣، ص٣٣٧.

([ii]) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨١.

([iii]) ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (١٦ج)، جـ٧، تعليق محمد حسين شمس الدين، ج (١٣–١٦)، تحقيق جمال الدين الشيال، فهيم محمد شلتوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م/١٣٩٢هـ، جـ١٥، ص٣٤٠، ٥٠٢؛ إلياس شوفاتي: تاريخ فلسطين السياسي، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ص٢٢٩.

([iv]) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨١–٨٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٣٣٧–٣٣٨؛ إيرامارفين لابيدوس: مدن الشام في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ترجمة د. سهيل زكار، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٥٥.

صفد: بالتحريك، والصفد العطاء، وكذلك الوثاق، وصفد مدينة في جبل عاملة المطلة على حمص بالشام وهي من جبال لبنان. راجع: ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، ت٦٢٦هـ: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، جـ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٤٦٨.

([v]) ابن قاضي شهبة (ثغر الدين بن أبيب كرين قاضي شهبة الدمشقي) ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م: تاريخ ابن قاضي شهبة، مجلد أول، تحقيق: عدنان درويش، دمشق ١٩٧٧م، جـ١، ص٧٧، ١٥٩؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٨٨؛ ابن حجر

العسقلاني (الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني) ت١٤٤٩م/٨٥٣هـ: إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق محمد أحمد دهان، المجلد الأول، دمشق، ١٣٩٩هـ، ص٣١٣.

تبنين: بكسر أوله وتسكين ثانيه، وكسر النون وياء ساكنة ونون أخرى، بلدة في جبال بني عامر المطلة على بلد بايثاس بين دمشق وصور. راجع: ياقوت الحموي: معجن البلدان، جـ٢، ص١٦.

الشاغور: بالغين المعجمة محلة بالباب الصغير من دمشق مشهورة وهي في ظاهر المدينة ينسب إليها القيثاني النحوي، راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٢.

([vi]) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٨١.

([vii]) لسان العرب: مادة وقف؛ مختار الصحاح: مادة وقف؛ المعجم الوسيط مادة (وقف)، ومادة (حبس).

([viii]) محمد بن أحمد بن صالح الصالح: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، الطبعة الأولى، الرياض، ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ، ص٢٣.

([ix]) مصطفى محمد عرجاوي: الوقف وأثره على الناحيتين الاجتماعية والثقافية، منشور في مجموعة أبحاث ندوة "إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية" المنعقدة في بورسعيد ١١-١٣ محرم ١٤١٩هـ (٧-٩ مايو ١٩٩٨م)، ص١٣٣؛ محمد الصالح: الوقف في الشريعة الإسلامية، ص٢٣؛ أ.د/ علي أحمد السيد: "وقف تميم الداري بالخليل في العصور الوسطى ودوره في مجالي عمارة الحرم الإبراهيم وضيافته للأهالي والأجانب"، بحث ألقي في: سيمنار التاريخ السنوي الذي يعقده قسم الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، في موضوع: "استخدامات الأوقاف: مؤسسات وواقفون ومستحقون" في الفترة من ١٧-١٩ مارس ٢٠٠٥م، وتم نشره ضمن إصدارات مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، إصدار رقم ١٢، العدد ٥٤ لعام ٢٠٠٥، ص٣.

([x]) الخصاف (أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني) ت٢٦١هـ/٨٧٢م: كتاب أحكام الوقف، تحقيق محمد مصطفى شلبي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص٩٥-٩٦؛ محمد الصالح: الوقف في الشريعة الإسلامية، ص٥٣-٥٥.

([xi]) الخصاف: أحكام الوقف، ص٩٥-٩٦. لمزيد من التفاصيل عن الوقف وأحكامه وتشريعه وأهميته الاقتصادية. راجع: أزهار سيد توفيق: الأوقاف على بيت المقدس عصر المماليك؛ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، دراسة تاريخية وثائقية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.

([xii]) البهوتي (منصور بن يونس بن إدريس) ت ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م: كشاف القناع عن متن الإقناع، ج٥، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، ج٣، ص٥٦، ص٢٧٧-٢٧٨.

([xiii]) إبراهيم البيومي غانم: الأوقاف والسياسة في مصر، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م، ١٤١٩هـ، ص٣٨٦-٣٨٧.

([xiv]) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٣٣٧.

([xv]) أبو اليمن العليمي (أبو اليمن عبد الرحمن بن مجير الدين) ت٥٧١هـ/١١٧٥م: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢ج في مجلد، بيروت، ١٩٧٣م، جـ٢، ص٢٦٩.

([xvi]) نفسه، ص٢٧٠.

([xvii]) المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٨١.

([xviii]) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٢٧٥؛ يوسف درويش غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، بدعم من جامعة اليرموك، ١٩٨٢م، ص٣٧.

([xix]) د/ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٩٤.

([xx]) نفسه، ص٩٥؛

Eracles, L'Estorie d'Eracles Empereur et de Conquest de la Terr d'outre-Mer, en: R.H.C.H.Occ., Tom II, Paris, 1859, pp. 183-185.

([xxi]) إبراهيم البيومي غانم: المرجع السابق، ص٣٨٦-٣٨٧.

([xxii]) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨١؛ أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٦٠٥، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٣٣٧.

([xxiii]) ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري المكني بأبي عبد الله) ت٢٣٠هـ/١٨٤١م: الطبقات الكبرى (السيرة النبوية الشريفة)، تحقيق: إحسان عباس، ج٨، بيروت، (د.ت)، جـ١، ص٢٣٤-٢٤٩، ٢٦٧، جـ٢، ص٣٥٥، جـ٥، ص٢٦، جـ٧، ص٤٠٨؛ علي أحمد السيد: وقف تميم الداري، ص٤.

([xxiv]) التدمري (إسحق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن كامل) ت ٨٣٣هـ/١٤٢٨م: مثير الغرام وخلاصة الكلام في فصل زيارة سيدنا الخليل عليه السلام، مخطوط:

History of Prophets, et C. Arabic Manuscript, in: S.O.A.S. un of London, No. 46353.

([xxv]) تعد رسالة المقريزي هذه نموذجًا دقيقًا لأسلوب البحث العلمي الذي ينبغي أن يكون منهجيًا وموضوعيًا في كل خطوة من خطواته، حيث تحرى في كتابتها الدقة في النقل وإثبات المصدر وتخريج الأحاديث: انظر المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري، تحقيق وتعليق: محمد أحمد عاشور، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، متفرقات؛ راجع أيضًا: القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ابن أحمد عبد الله) ت ٨٢١هـ/١٤١٨م: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ج، القاهرة، ١٩١٣-١٩١٤م، ج١٣، ص١١٨-١٢٢.

([xxvi]) أوحبرون، والواضح أن هذا المسمى لمدينة الخليل قد أخذ عن لفظة Habeer عند العبرانيين التي تعني الصديق الحميم أو الخليل، نعتًا منهم للنبي إبراهيم الخليل عليه السلام راجع:

Vigouroux, F. Hebron, en: Dictionnaire de La Bible, Tome III, Paris 1903, col. 535, cf. also, Encyclopedie de l'Islam. Paris, 1990, vol. IV, Art, Al-Khalil.

ومن مشتقات حبرون المستخدمة Cebron- Cebrun- Cefron- Hebron وقد استخدم المسمى المذكور المؤرخون القدامى ومؤرخو العصور الوسطى. للمزيد، راجع: علي أحمد السيد: الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية، ٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٧م، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، ص٥٩-٦١.

([xxvii]) اسم لإحدى القرى الأربع التي تتألف منها مدينة الخليل التي دُعيت أصلاً بمسمى قرية أربع أي المدينة الرباعية. انظر العهد القديم، سفر التكوين ٢٣، ٢، يشوع، ٢٠: ٧، ٣: ٢٢، الأعداد ١٣: ٢٣.

وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى هذه القرى، فضلاً عن بيت عينون ذكرى حبرون وبيت إبراهيم، انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٢، ص٧٥، جـ٧، ص١٢٩-١٣٠؛ أما القرية الرابعة "مرطوم" فلم تذكر إلا متأخرًا بعض الشيء. انظر: ناصرخسرو (أبو معين الدين العلوي) ت٤٥٣هـ/١٠٦١م: سفر نامه، تحقيق يحيى الخشاب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٥٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٣، ص١١٨-١٢١؛ حيث أفرد فصلاً طويلاً عن إقطاع تميم

الداري. وفي بيت عينون آثار ترجع إلى العصر البيزنطي تدلل على نشاطها الديني والعسكري حيث توجد أطلال كنيسة وحصن. انظر:

Guerin, V., Description Géographique, Historique et Archéologique de la Palestine, Accopagnée de Cartes Détaillees, I Judee, 3 vols., Paris, 1868, Tome, I, p. 150.

([xxviii]) الأنباط: الآبار.

([xxix]) الكلمة مأخوذة عن: القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٣، ص١٢١.

([xxx]) لم يكن لتميم ابنٌ ذكر، إنما كانت له ابنة تدعى رقية، يكنى بها، أما الذين أسلموا بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم فكان عددهم عشرة، جلهم أخوة لتميم أو أبناء عمومته. انظر: الواقدي (أبو عبد الله محمد بن عمر السهي الأسلمي المدني) ت٢٠٧هـ/٨٢٣م: كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، ٣ج، نشر: عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م، جـ٢، ص٦٥٩.

([xxxi]) لا يحاقه: لا يخاصمه.

([xxxii]) في صبح الأعشى "هذا كتاب من أبي بكر أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استخلف في الأرض من بعده".

([xxxiii]) المآثرة: المكرمة المتوارثة.

([xxxiv]) ابن عساكر (الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي) ت٥٧١هـ/١١٧٥م: التاريخ الكبير المعروف بتاريخ مدينة دمشق، تحقيق د. صلاح المنجد، ١٠ج، دمشق، ٣٣٢هـ/١٣٢٩م، ج١، ص٤٦٨.

([xxxv]) المقريزي: ضوء الساري، ص٦٩.

([xxxvi]) أجنادين: إحدى بقاع بلاد الخليل إذ تقع فيما بين بلدتي الرملة والخليل إلى الغرب منها، مطابقة موقع بيت جبرين، انظر:

Dussaud, R., Topographie Historique La Syrie, Antique et Médievale, Paris, 1927, p. 402.

([xxxvii]) ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ١٠، ص٤٦٨، ٤٦٩.

([xxxviii]) نستقي من القلقشندي مثلاً على ذلك: أن فقيه مصر الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ/٧٨٢م) اشترى أراضي من الدولة حيث بيت المال "وحسبها على وجوه البر" انظر: صبح الأعشى، جـ٢، ص٣٨.

([xxxix]) المقريزي: ضوء الساري، ص١١٦-١١٧.

([xl]) المكفيلة: اسم ساميّ يعني مزدوج، وكان النبي إبراهيم عليه السلام قد اشتراها ليدفن فيها، وتوفيت زوجته سارة من قبله فدفنها، ثم تم دفنه أيضًا بها، وكذلك إسحاق ورفقة ويعقوب ولينة، وهذه المغارة تعد جزءًا أساسيًا من مبنى الحرم الإبراهيمي وهي تقع أسفله.

انظر: العهد القديم: سفر التكوين، ٢٥: ٩، ٢٣: ١٩، ٤٩، ٣١؛ ٥٠: ٣١؛ علي أحمد السيد: وقف تميم الداري، ص٨. وقد ترسخ هذا المعتقد على مر العصور في الكتابات المصدرية، ومن ذلك راجع: الهروي (أبو الحسن علي بن أبي بكر) ت٦١١هـ/١٢١٤م: الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢٩-٣١، نشر سوردبل، دمشق، ١٩٥٣م، ص٢٩-٣١. انظر أيضًا:

Anonymus, Jerusalem Pilgrimage 1099-1185, ed Wikinson, J., and Others, London, 1988, p. 89.

([xli]) المقريزي: ضوء الساري، ص١٢٠؛ علي أحمد السيد: وقف تميم الداري، ص٨.

([xlii]) محمد بن احمد بن صالح الصالح: الوقف في الشريعة الإسلامية، ص١٠.

([xliii]) أخرجه مسلم، جـ٣، ص١٢٥٥، حديث رقم (١٦٣١).

([xliv]) الخصاف (أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني) ت٢٦١هـ/٨٧٢م: كتاب أحكام الأوقاف، تحقيق: محمد مصطفى شلبي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، صفحات متفرقة، إبراهيم البيومي غانم: الأوقاف والسياسة، ص٣٨٦؛ علي أحمد السيد: وقف تميم الداري، ص٣٣.

([xlv]) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٦٠٥-٦٠٦.

([xlvi]) بيبرس المنصوري (الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الدواداري) ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م: التحفة المملوكية في الدولة التركية، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٦٧.

([xlvii]) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٨١؛ أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٧٥؛ إلياس شوفاني: تاريخ فلسطين السياسي، ص٢٣١.

([xlviii]) Cohen Lewis, Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century (Princeton 1987, p. 9);

إلياس شوفاتي: تاريخ فلسطين السياسي، ص٢٣١.

([xlix]) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٦٩؛

J. Drory., "Jerusalem During the Mamluk Period", in Muslim Literature in the Praise of Jerusalem (Jerusalem 1981), p. 192.

([l]) Cohen, Lewis, op. cit., pp. 9-10؛ إلياس شوفاتي: تاريخ فلسطين السياسي، ص٢٣١-٢٣٢.

([li]) J. Drory, op. cit., pp. 192-193.

([lii]) أبو اليمن العلميمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٧٠-٢٩٢؛ محمد عوض الهزايمة: القدس في الصراع العربي الصهيوني، جامعة العلوم التطبيقية، دار سراج، عمان، الأردن، د.ت، ص٢٨-٢٩.

([liii]) Cohen, Lewis, op. cit., p. 10; J. Drory, op. cit., p. 193.

([liv]) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٦٠٥-٦٠٦.

([lv]) نفسه، جـ٢، ص٤٣.

([lvi]) J. Drory, op. cit., pp. 191-192.

([lvii]) Isac Ben Joseph Chelo, The Roads from Jerusalem, 1334, A. D., in: J.T., p. 135;

محمد محمد الكحلاوي: مقاصير الصلاة في العصر الإسلامي، دراسة أثرية معمارية، مجلة كلية الآثار، القاهرة، العدد الثالث، ١٩٨٩م، ص٢٠٧-٢٢٥.

([lviii]) إبراهيم البيومي غانم: الأوقاف والسياسة، ص٣٨٦-٣٨٧.

([lix]) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٦٠٥.

([lx]) هنتس فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م، ص٦٤-٧١.

([lxi]) عارف باشا عارف: تاريخ القدس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١م، ص٨٨-٨٩.

([lxii]) بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص٦٧؛

Isac Ben Joseph Chelo., op. cit., p. 136.

([lxiii]) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، حديث رقم ٣٤٢٤، جـ٦، ص٤٥٨ كتاب الأنبياء، باب ٤٠، جامع الأصول، جـ٧، ص١٧٥.

([lxiv]) شهاب الدين المقدسي (شهاب الدين أبي محمود بن تميم المقدسي) ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م: مُنبر الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الحطيمي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص١٧١.

([lxv]) الصفدي (صلاح الدين خليل أيبك) ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م: تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ق٢، تحقيق إحسان خلوصي، زهير حمدان، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٢م، ص١٦٨-١٦٩؛ عارف باشا عارف، تاريخ القدس، ص٨٧؛ د. يوسف درويش غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص٣٩٤-٤٣٤.

([lxvi]) القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) ت ١٢٨٣م: آثار البلاد وأخبار العباد، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص١٥٩-١٦٠.

([lxvii]) ابن الجوزي (الشيخ أبو الفرج) ت ٥٩٧هـ: فضائل القدس، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م، ص١١٤؛ ستيفن رانسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ٣ أجزاء، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، ١٩٦٩م، جـ١، ص٧١.

([lxviii]) Burchard of Mout Soin: Adescriptian of the Holy Land 1232 A.D. Trans, by Aubrey Stewart in p.p.T.S. vol. XII, London 1896, pp. 1-111.

د. علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار الفكر للتراث والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٩-١٠.

([lxix]) ابن شداد (عز الدين محمد بن علي) ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ٣ أجزاء، تحقيق سامي الدهان، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٣م، جـ٢، ص٢٤١؛ ابن عبد الظاهر (محي الدين أبو الفضل عبد الله) ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، (د.ت)، ١٩٧٦م، ص٢٨٧، ٢٩٤؛ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت٧٣٣هـ/١٣٢٢م: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣١ جزء، تحقيق سعيد عاشور وآخرون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، جـ٣٠، ص١٣٨.

([lxx]) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٨٩؛ Burchard of Mount Soin, op. cit., p. 35.

([lxxi]) الحريري (أحمد بن علي بن أحمد) ت ٩٢٦هـ/١٥١٩م: الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين، تحقيق مهدي أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص٦٨؛

Burchard of Mount Soin, op. cit., p. 36.

([lxxii]) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ١، ص٤٣؛ ابن عبد الظاهر (القاضي محي الدين أبو الفضل عبد الله المصري) ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٩٧٦م، ص٢٨٧؛ سعيد محمد سعيد أبو صافي: مدينة الخليل في العصر المملوكي، مكتبة دندنيس الإسلامية، الخليل، فلسطين، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٥٤-١٥٨.

([lxxiii]) ابن طولون (شمس الدين محمد بن علي الصالحي) ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م: القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد دهمان، دمشق، ١٩٨٠م، ص٢٥؛ سعيد محمد سعيد: مدينة الخليل، ص١٥٩-١٦٦.

([lxxiv]) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص٢٨٧؛ كامل جميل العسلي: مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة ١٩١٨م، عمان، الأردن، ١٩٩٤م، ص١٤٧؛ سعيد محمد سعيد: مدينة الخليل، ص١٦٧.

([lxxv]) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٨٠؛ ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص٢٨٧-٢٨٨. وللمزيد من مزارات ومنشآت الخليل راجع: د. علي أحمد السيد: الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية (٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٧م)، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٢٨٥، ٣١٤.

([lxxvi]) المقريزي: السلوك، جـ٣، ص٢٢١-٢٢٤؛ ابن عبد الزاهر: الروض الظاهر، ص٢٩٤؛ الحريري: الإعلام والتبيين، ص٦٨.

([lxxvii]) بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص٦٧.

([lxxviii]) علي أحمد السيد: وقف تميم الداري، ص٣٥.

([lxxix]) القزويني: آثار البلاد، ص١٨٧.

([lxxx]) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٢٩٤-٢٩٥؛ الحريري: الإعلام والتبيين، ص٦٨؛ يوسف درويش غوانمة: نيابة بين المقدس، ص٣٧.

([lxxxi]) أمير الطبلخانة: يكون تحت إمرتهم دون الملة من المماليك، ويتراوح عدد مماليكه من الأجناد ما بين ثمانين وأربعين، والطبلخاناه هي طبول متعددة معها أبواق وزُمُر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص ويكون الحق لأمراء الطبلخانات أن ترافقهم الطبول، انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص٧-٨.

([lxxxii]) الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ق٢، ص١٦٨-١٦٩؛ أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٧٠.

([lxxxiii]) يوسف درويش غوانمة: نيابة بيت المقدس، ص٣٧.

([lxxxiv]) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٤١، ١١٧، ٢٩٨.

([lxxxv]) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٤٤٠، ٤٨٣، ٥٢٥.

([lxxxvi]) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٨٧، ٣٠٤، ٣١١.

([lxxxvii]) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٥٢٥؛ أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٩٧؛ القلشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص١٩٠-١٩٢.

([lxxxviii]) ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى): التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة، ١٣١٢هـ، ص١٢٧.

([lxxxix]) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٩٨.

([xc]) ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزءًا، القاهرة، ١٩٣٢هـ/١٩٧٢م، جـ١٣، ص٩٧.

([xci]) أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٢٩٢-٢٩٥.

التشريف: هو الخلعة التي يلبسها السلطان، أو يمنحها لأحد رجال الدولة كي يلبسها عند قراءة التقليد وتسمى هذه الثياب بأسماء تطابق المناسبة التي منحت من أجلها مثل (خلعة النيابة، خلعة الوزارة، خلعة السفر، خلعة الرضا). ورفض ثوب التشريف يعتبر إساءة خطيرة، والخلعة عادة تكون (كاملية) من الصوف مبطنة بفرو سمور، أو ثوبًا من الأطلس الأبيض به بنود مطرزة. انظر: ماير: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، القاهرة، ص١٠٨-١١١.

الطرحة: وهي عبارة عن وشاح يلبس فوق العمامة ويلتف حول الرقبة ويسترسل على الكتفين وكان هذا الزي امتيازًا للطبقة الرفيعة من رجال الدين والموظفين. راجع: ماير: الملابس المملوكية، ص٩٣.

([xcii]) يوسف درويش غوانمة: نيابة بيت المقدس، ص٢٩-٦٥.

([xciii]) إبراهيم البيومي غانم: الأوقاف والسياسة، ص٣٨٦؛ علي أحمد السيد: وقف تميم الداري، ص٣٣.

([xciv]) إلياس شوفاني: تاريخ فلسطين، ص٢٣٠.

(xcv) إبراهيم البيومي غانم: الأوقاف والسياسة، ص٣٨٦-٣٨٧؛ يوسف درويش غوانمة: نيابة بيت المقدس، ص٣٧.
(xcvi) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص١٨٦-١٩٠؛ إلياس شوفاني: تاريخ فلسطين، ص٢٣١.
(xcvii) ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي) ت٧٩٩هـ/١٢٧٧م: رحلة ابن بطوطة، نشر، كريم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٧٧؛ أبو اليمن العليمي: الأنس الجليل، جـ٢، ص٤٢١-٦٠٥؛
Eracles, L'Estoire d'Eracles Empereur, pp. 184-185.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

١) ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي) ت٧٩٩هـ/١٢٧٧م: رحلة ابن بطوطة، نشر، كريم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢) البهوتي (منصور بن يونس بن إدريس) ت ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م: كشاف القناع عن متن الإقناع، ج٥، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

٣) بيبرس المنصوري (الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الدواداري) ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م: التحفة المملوكية في الدولة التركية، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤) التدمري (إسحق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن كامل) ت ٨٣٣هـ/١٤٢٨م: مثير الغرام وخلاصة الكلام في فصل زيارة سيدنا الخليل عليه السلام، مخطوط:

٥) ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزءًا، القاهرة، ١٩٣٢هـ/١٩٧٢م.

٦) ابن الجوزي (الشيخ أبو الفرج) ت ٥٩٧هـ: فضائل القدس، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.

٧) ابن حجر العسقلاني (الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني) ت١٤٤٩م/٨٥٣هـ: إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق محمد أحمد دهان، المجلد الأول، دمشق، ١٣٩٩هـ.

٨) ـــــــــــــ: فتح الباري في شرح صحيح البخاري.

٩) الحريري (أحمد بن علي بن أحمد) ت ٩٢٦هـ/١٥١٩م: الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين، تحقيق مهدي أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

١٠) الخصاف (أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني) ت٢٦١هـ/٨٧٢م: كتاب أحكام الأوقاف، تحقيق: محمد مصطفى شلبي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

١١) ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري المكني بأبي عبد الله) ت٢٣٠هـ/١٨٤١م: الطبقات الكبرى (السيرة النبوية الشريفة)، تحقيق: إحسان عباس، ج٨، بيروت، (د.ت).

١٢) ابن شداد (عز الدين محمد بن علي) ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ٣ أجزاء، تحقيق سامي الدهان، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٣م.

١٣) شهاب الدين المقدسي (شهاب الدين أبي محمود بن تميم المقدسي) ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م: مُنبر الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الحطيمي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
١٤) الصفدي (صلاح الدين خليل أيبك) ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م: تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ق٢، تحقيق إحسان خلوصي، زهير حمدان، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٢م.
١٥) ابن طولون (شمس الدين محمد بن علي الصالحي) ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م: القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد دهمان، دمشق، ١٩٨٠م.
١٦) ابن عبد الظاهر (محي الدين أبو الفضل عبد الله) ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، (د.ت)، ١٩٧٦م.
١٧) ابن عساكر (الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي) ت٥٧١هـ/١١٧٥م: التاريخ الكبير المعروف بتاريخ مدينة دمشق، تحقيق د. صلاح المنجد، ١٠ج، دمشق، ٣٣٢هـ/١٣٢٩م.
١٨) العهد القديم، سفر التكوين ٢٣، ٢، يشوع، ٢٠: ٧، ٣: ٢٢، الأعداد ١٣: ٢٣.
١٩) ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى): التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة، ١٣١٢هـ.
٢٠) ابن قاضي شهبة (ثغر الدين بن أبيب كرين قاضي شهبة الدمشقي) ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م: تاريخ ابن قاضي شهبة، مجلد أول، تحقيق: عدنان درويش، دمشق ١٩٧٧م.
٢١) القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) ت ١٢٨٣م: آثار البلاد وأخبار العباد، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
٢٢) القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ابن أحمد عبد الله) ت ٨٢١هـ/١٤١٨م: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١٣، ١٤ج، القاهرة، ١٩١٣-١٩١٤م.
٢٣) ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي) ت ٧٧٤هـ/١٣٨٧٣م: البداية والنهاية في التاريخ، المعروف بتاريخ ابن كثير، ١٤ج، طبعة القاهرة، ١٣٥١-١٣٥٨هـ.
٢٤) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م: السلوك لمعرفة دول الملوك، ٦ أقسام، تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٦-١٩٥٨م، الجزء الثالث والرابع، ٦ أقسام، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٠-١٩٧٢م.
٢٥) ـــــــــ: ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري، تحقيق وتعليق: محمد أحمد عاشور، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
٢٦) ناصرخسرو (أبو معين الدين العلوي) ت٤٥٣هـ/١٠٦١م: سفر نامه، تحقيق يحيى الخشاب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٧) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت٧٣٣هـ/١٣٢٢م: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣١ جزء، تحقيق سعيد عاشور وآخرون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

٢٨) الهروي (أبو الحسن علي بن أبي بكر) ت٦١١هـ/١٢١٤م: الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٩) الواقدي (أبو عبد الله محمد بن عمر السهي الأسلمي المدني) ت٢٠٧هـ/٨٢٣م: كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، ٣ج، نشر: عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م.

٣٠) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، ت٦٢٦هـ: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، جـ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣١) أبو اليمن العليمي (أبو اليمن عبد الرحمن بن مجير الدين) ت٥٧١هـ/١١٧٥م: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢ج في مجلد، بيروت، ١٩٧٣م.

ثانيا- المراجع العربية والمعربة:

٣٢) إبراهيم البيومي غانم(دكتور): الأوقاف والسياسة في مصر، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م، ١٤١٩هـ.

٣٣) إلياس شوفاتي: تاريخ فلسطين السياسي، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

٣٤) إيرامارفين لابيدوس: مدن الشام في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ترجمة د. سهيل زكار، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٥) ستيفن رانسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ٣ أجزاء، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، ١٩٦٩م.

٣٦) سعيد محمد سعيد أبو صافي: مدينة الخليل في العصر المملوكي، مكتبة دندنيس الإسلامية، الخليل، فلسطين، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣٧) عارف باشا عارف: تاريخ القدس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١م.

٣٨) علي السيد علي(دكتور): القدس في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار الفكر للتراث والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م.

٣٩) علي أحمد السيد(دكتور): "وقف تميم الداري بالخليل في العصور الوسطى ودوره في مجالي عمارة الحرم الإبراهيم وضيافته للأهالي والأجانب"، بحث ألقي في: سيمنار التاريخ السنوي الذي يعقده قسم الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، في موضوع: "استخدامات الأوقاف: مؤسسات وواقفون ومستحقون" في الفترة من ١٧-١٩ مارس ٢٠٠٥م، وتم نشره ضمن إصدارات مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، إصدار رقم ١٢، العدد ٥٤ لعام ٢٠٠٥.

٤٠) ـــــــــــــ: الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية (٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٧م)، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٤١) قاسم عبده قاسم(دكتور): عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٤٢) كامل جميل العسلي: مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة ١٩١٨م، عمان، الأردن، ١٩٩٤م،

٤٣) ماير: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، القاهرة.

٤٤) محمد بن أحمد بن صالح الصالح: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، الطبعة الأولى، الرياض، ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ.

٤٥) محمد عوض الهزايمة(دكتور): القدس في الصراع العربي الصهيوني، جامعة العلوم التطبيقية، دار سراج، عمان، الأردن، د.ت.

٤٦) محمد محمد الكحلاوي(دكتور): مقاصير الصلاة في العصر الإسلامي، دراسة أثرية معمارية، مجلة كلية الآثار، القاهرة، العدد الثالث، ١٩٨٩م.

٤٧) محمد محمد أمين(دكتور): الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، دراسة تاريخية وثائقية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.

٤٨) مصطفى محمد عرجاوي: الوقف وأثره على الناحيتين الاجتماعية والثقافية، منشور في مجموعة أبحاث ندوة "إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية" المنعقدة في بورسعيد ١١-١٣ محرم ١٤١٩هـ (٧-٩ مايو ١٩٩٨م).

٤٩) هنتس فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م.

٥٠) يوسف درويش غوانمة(دكتور): تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، بدعم من جامعة اليرموك، ١٩٨٢م.

ثالثا- المراجع الأجنبية:

51) Anonymus, Jerusalem Pilgrimage 1099-1185, ed Wikinson, J., and Others, London, 1988.

52) Burchard of Mout Soin: Adescriptian of the Holy Land 1232 A.D. Trans, by Aubrey Stewart in p.p.T.S. vol. XII, London 1896.
53) Cohen Lewis, Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century (Princeton 1987.
54) Dussaud, R., Topographie Historique La Syrie, Antique et Médievale, Paris, 1927.
55) Eracles, L'Estorie d'Eracles Empereur et de Conquest de la Terr d'outre-Mer, en: R.H.C.H.Occ., Tom II, Paris, 1859.
56) Guerin, V., Description Géographique, Historique et Archéologique de la Palestine, Accopagnée de Cartes Détaillees, I Judee, 3 vols., Paris, 1868, Tome, I.
57) History of Prophets, et C. Arabic Manuscript, in: S.O.A.S. un of London, No. 46353.
58) Isac Ben Joseph Chelo, The Roads from Jerusalem, 1334, A. D., in: J.T;.
59) J. Drory., "Jerusalem During the Mamluk Period", in Muslim Literature in the Praise of Jerusalem (Jerusalem 1981.(
60) Vigouroux, F. Hebron, en: Dictionnaire de La Bible, Tome III, Paris 1903, col. 535, cf. also, Encyclopedie de l'Islam. Paris, 1990, vol. IV, Art, Al-Khalil.